# حافظ بك ابراهيم

بمناسبة ذكراه

بقلم السيد أحمد العجان

تتمة

— ١٢ —

نصائحه الى اليائسين :

١ — الهجرة خير للفقير :

إن ضيق العيش لا يرضى به إلا ذليل خطمه الذل ، وجبان أقعده الخوف ؛ والكسل والعجز والخمول آفة المصرى ، وكثير من الشرقيين ضربوا فى الأرض ، وركبوا البحار ، فأثروا

أليس خيراً للعدم أن يجوس خلال البلاد ، يطلب سعة ويبتغى سعادة ؟ لقد سبقه فى الهجرة كثير من أبناء الشام ، ورجال الشرق :

ما عابهم أنهم فى الأرض قد نثروا
فالشهب منثورة مذ كانت الشهب
ولم يضيرهم سراء فى منا كبها
فكل حى له فى الكون مضطرب
رادوا المناهل فى الدنيا ولو وجدوا
إلى الهجرة ركبا صاعداً ركبوا
أو قيل فى الشمس للراجين منتجع
مدوا لها سبباً فى الجو وانتدبوا

وقديماً غادر هو الوطن ، ونزح عن بلاده ، يطلب عيشاً ، ويروم رزقاً :

نزحت عن الديار أروم رزقى وأضرب فى المهامه والتخوم
ولولا سورة المجد عندى قنعت بعيشتى قنع الظليم

وكان فى مقدوره أن يتقاعد لو كان يرتضى وجدان مواطنيه ، ولكنه يأبى أن يكون خاملاً :

فياليت لى وجدان قومى فأرتضى حياتى ، ولا أشقى بما أنا طالبه
ينامون تحت الضيم والأرض رحبة
لمن بات يأبى جانب الذل جانبه
يضيق على السورى رحب بلاده فيركب للأهوال ما هو راكبه
ويخرج بالرومى مذهب رزقه فتفرج فى عرض البلاد مذاهبه

وعجيب أن يقيم بيننا الغربى فيثرى ويخصب ، ونحن قعود عن منافسته وسبقه ومجاراته

سابق الغربى واسبق واعتصم بالمروءات ، وبالبأس اعتصاما
جانب الأطماع وانهج نهجه واجعل الرحمة والتقوى زاما
وامتط العزم جوادا للعلا واجعل الحكمة للعزم زماما

ومع هذا الفقر الذى ساءل من أجله السراة والمترفين ، والذى من أجله حبب الهجرة ودعا إلى الارتحال ابتغاء الرزق ، ومع حاجته إلى الأنصار والأعوان يعدون له يد المساعدة ، ويقدمون له العطايا ، فانه جد حريص على كرامته ، يحتفظ بها ويرعاها

ولقد راق لديه ما فعل « فيكتور هيجو » بعد أن زج فى السجن ، وحشد فى زمرة السفاكين والمجرمين ، وأراد الولاة الغاصبون أن يمنوا عليه بالعفو ، فأبى واستكبر أن تمتد إليه العفو يد مذنب أثيم :

عاف فى منفاه أن يدنو به عفو ذاك القاهر المنتصب
بشروه بالتدانى ونسوا أنه ذاك المعانى الأبى
كتب المنفى سطراً للذى جاده بالعفو فاقر أواعجب :
أترى عنه يعفو مذنب ؟ كيف تمتد العفو كف المذنب؟

وكثير من العلماء النابهين ، والشعراء والكاتبين ، والأئمة والزعماء ، درجوا فى منابت الفقر ، وقاسوا محن العيش ، فطلبوا الجاه فى العلم ، والشرف فى الكرامة ، والهيبة فى الاباء ، وخلقوا لأنفسهم مجداً لا يقاس به عرض الدنيا : فلقد كان بشار بن برد الشاعر النابه من أولئكم الفقراء ، إذ كان أبوه طياناً يضرب اللبن ، وكان أبو العتاهية يبيع الفخار بالكوفة ، والجاحظ يبيع الخبز والسمك ، وأبو تمام يسقى ماء بالجرة فى جامع مصر ، كما كان أبو حنيفة بزازاً ، وكما هو مشاهد الآن فى زعامة الأمم الراقية أمثال روزفلت ، وهتلر ، وموسوليني

إن الظروف القاسية تحطم عظماء الرجال ولكنها لا تجرؤ أن تحطم التفاؤل عند المتفائلين ، وهؤلاء الذين يجالدون آلام الجوع والمسغبة ، وفى قلوبهم إيمان وفى ضمائرهم حياة ، ليس شيمتهم التفاؤل فقط ، ولكنه التفاؤل الرخيص

وكان حافظ رحمه الله أحد هؤلاء المتفائلين ، كما ينطق بذلك شعره صريحاً بينا :

على أننى لا أركب اليأس مركباً ولا أكبر البأساء حين تغير
نفسى برغم الحادثات فتية عودى على رغم الكوارث مورق

فياقلب لاتجزع إذاعضك الأسى فانك بعد اليوم ان تتألما

ولئن تتابعت عليه نارات الأحداث ، وطوارق الغير ، فان ذلك لا يثنيه عن عزمه ، ولا يقعده عن غايته ، ما دامت العلياء رائده ، وشرف الغاية مأربه :

مرحباً بالخطب يبلونى إذا كانت العلياء فيه السببا
عقنى الدهر ولولا أننى أوتر الحسنى ؛ عققت الأدبا

— ١٣ —

لقد مدح حافظ كل ذى جاه فى الدولة ، أو ذا تصريف فى أمور البلاد ، أو من أنس منه الخير يجلب والشر يتقى ، وهو طبيعى فى رجل كحافظ مجرد من القوة ، وأصفر من المال ، فركن إلى الولاة والحاكين يتقى عواديهم ويأمن جورهم ، وقد يناله خيرهم ، ويدركه نفعهم

ولكنه فى مدحه الذى من أجله عرض ألفاظ اللغة ، « ونبش [1] بطون الكتب ، وقلب أحشاء القواميس ، ثم استخرج من الألفاظ أطلاها وأحلاها ، ومن المعانى أسماها وأعلاها ، وصاغ من كليهما مدحة تهز الممدوح وتطربه ، » لم يخالف ضميره ولم يتجر بوطنيته ، ولم يرق ماء وجهه ، ويمتهن كرامته . بل كان يقف عند دهاء السياسة وحزم الرجولة ، ولين الجانب حيث لا مغمز ولا تجريح

مدح الخليفة وسلاطين الدولة العثمانية ، وخديو مصر وأمراءها ، ورجال مصر وسراتها ، بل مدح اللورد كرومر وملك الانجليز ومندوب الانجليز . ولكن ما كان يمدحهم تملقاً ورياء ، بل كان أشبه بالتشبيب يقدمه الشاعر لتصغى الأسماع اليه وتتعلق القلوب بما بعده ، ثم يتناول مطالب الشعب يقدمها ، وشكايات الوطن يلفت الأنظار اليها ، وقد ينتقد فى السياسة ، ويتهكم بمسلك الحاكين ، كما حدث فى قصيدته التى رفعها إلى عميد الدولة البريطانية بعد حادثة دنشواى

قصر الدبارة هل أتاك حديثنا فالشرق ريع له وضج المغرب
أهلاً بساكنك الكريم ومرحباً بعد التحية إننى أتعتب
ماذا أقول وأنت أصدق ناقل عنا ولكن السياسة تكذب
أنقمت منا أن نحس ؟ وإنما هذا الذى تدعو اليه وتندب
أنت الذى يعزى اليه صلاحنا فيما تقرره لديك وتكتب
أو كلما باح الحزين بأنة أمست إلى معنى التعصب تنسب؟

فاجعل شعارك رحمة ومودة إن القلوب مع المودة تكسب

لقد طبع حافظ مدحه بطابع المصلحة للمجتمع ، والنفع للوطن ، والتعبير عن أحاسيسه وآلامه ، والذود عن شرفه وكرامته . وكان هذا المدح يتقدم به فى قصائده كالتشبيب عند السابقين كما فى قصيدته التى رفعها لسمو الأمير عباس الثانى فى عيد رأس السنة الهجرية

قصرت عليك العمر وهو قصير وغالبت فيك الشوق وهو قدير
وأنشأت فى صدرى لحسنك دولة لها الحب جند والولاء سفير
فؤادى لها عرش وأنت مليكه ودونك من تلك الضلوع ستور
وما انتفضت يوماً عليك جوانحى ولا حل فى قلبى سواك أمير

ثم انتقل — بعد أن عرض للهوى والصبابة والغرام — إلى آمال الوطن ومطالبه :

أمولاى إن الشرق قد لاح نجمه وآن له بعد الممات نشور
مضى زمن والغرب يسطو بحوله على ومالى فى الأنام ظهير
إلى أن أتاح الله للصقر نهضة فقلت غرار الخطب وهو طرير
جرت أمة اليابان شوطاً إلى العلا ومصر على آثارها ستصير
وما يمنع المصرى إدراك شأوها وأنت لطلاب العلاء نصير
فقف موقف الفاروق وانظر لأمة اليك بحبات القلوب تشير

— ١٤ —

فى مصر فقراء وأيتام وذوو خصاصة ، ولهم حقوق على المجتمع الذى يعيشون فيه ويعملون له

١ — لهم حق التعليم حتى يرتفع مستواهم ، وتعلو منازلهم وحتى يتضامنوا مع المجتمع فى بناء مجده بوحى من الضمير ووازع من النفس ، لا بطريق السخرة والأجبار ، وحتى تكون العلاقة بين أفراده وهيئاته بعضهم مع بعض علاقة محبة وإخلاص وولاء ، لا علاقة سيادة وغطرسة وكبرياء

٢ — ولهم حق تيسير سبل الرزق ؛ بفتح أبواب العمل أمامهم ، والسهر على صوالحهم ، ورعاية شؤونهم ؛ حتى يعيشوا وأسراتهم فى مأمن من الجوع والخصاصة ، وحتى لا يشغلوا المجتمع بسرقاتهم وسطوهم

٣ — ولهم حق المعالجة فى بيوت الشفاء والمصحات ، حتى تسلم جسومهم من العلل ، وتصح أبدانهم من الأسقام . فنحن فى ميدان نهضة ، وكل نهضة لابد لها من عدة ، فلتكن عدتنا رجالاً أشداء البنية أصحاء الأجساد ، سليمى العقل فاهمين حازمين ، كى

(١) حافظ : ليال سطيح

يكون منهم الجندى الباسل ، والزارع النشيط ، والصانع الحاذق ، والوطني الغيور ، إلى آخر ما يتطلبه الوطن ليسلم ، وتستدعيه النهضة لتدوم .

٤ — على أن منهم العاجز الضعيف ، واليتامى الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، كل أولئك فى حاجة إلى ملاجىء يأوون اليها ، ومدارس يتعلمون بها ما ينفع الجماعة ويدر عليهم الخير

٥ — ثم من فوق ذلك ، ومن قبل كل ذلك ، لهم حق قد يعلو على كل الحقوق فى جلال شأنه وخطره ، ذلك هو أن يشعروا بعطف ذوى الجاه وأرباب النفوذ وأولياء الأمور ، حتى يشعروا فى قلوبهم حبهم ، ويولوهم الطاعة التى تحقق لهم رغباتهم

هذه حقوق الشعب المسكين كما يراها حافظ ، فهو يرقب فرصة اعتلاء سعد منصة الحكم فيتقدم اليه بقول :

يا سعد إن بمصر أيـ ـتاماً تؤمل فيك سعدا
قد قام بينهم وبين العلا م ضيق الحال سدا
ما زلت أرجو أن أرا ك أبا ، وأن ألقاك جداً
حتى غدوت أبا له أضحت عيال القطر وُلبا
فاردد لنا عهد الأما م وكن بنا الرجل المفدى

عليكم حقوق للبلاد أجلها تعهد روض العلم فالروض مقفر
قصارى متى أوطانكم أن ترى لكم يداً تبتنى مجداً ورأساً يفكر

فتلموا فالعلم مفتاح العلا لم يبق باباً للسعادة مغلقاً

وقصيدته فى سبيل « الجامعة » تبين رأيه فى التعليم ، وأنه لا يقنع بالأوليات السطحية ، بل بالثقافة الرشيدة والدراسة الحكيمة ، وأن ألف كُتّاب لا تعدل مدرسة عالية أو جامعة منظمة ؛ لأننا نستبدل بالكتاتيب داء الجهل بداء أشد خطراً وهو الغرور

ذرّ الكتاتيب منشيها بلا عدد ذر الرماد بعين الحاذق الأرب
فأنشأوا ألف كتاب وقد علموا أن المصابيح لا تغنى عن الشهب
هبوا الأجير أو الحراث قد بلغا حد القراءة فى صحف وفى كتب
من المداوى إذا ماعلة عرضت؟ من المدافع عن عرض وعن نشب
ومن يروض مياه النيل إن جنحت
وأنذرت مصر بالويلات والحرب ؟
ومن يوكل بالقسطاس بينكم حتى يرى الحق ذا حول وذا غلب؟
ومن يميط ستار الجهل إن طمست معالم القصد بين الشك والريب؟
فما لكم أيها الأقوام جامعة إلا بجامعة موصولة السبب

والحق أن حافظاً صورة من النفسية المصرية العامة فى هذه الفترة ، فترة الانتقال والحيرة والاصطدام فى جميع النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فهو على ذلك قد أدى رسالته فى الحياة ، وقام بواجبه نحو وطنه وشعبه ، لأنه بصر بآلامه ، وتغنى بالأمل المنشود ، والمصلحة المرجوة ، ووقع على قيثارة الحنان أناشيد الأسى وأنات الباكين ، فجزاه الله كفاء وفائه الجنة وحسن المقام وخلود الذكر

السيد أحمد الغمراوى

## وزارة المعارف العمومية

### اللجنة الوزارية الاستشارية لبعثات الحكومة

تعلن إدارة البعثات بوزارة المعارف أنها ستوفد فى هذا العام بعثتين عضو واحد من الحاصلين على دبلوم الهندسة الملكية قسم (الكهرباء) للتخصص فى الرياضة والطبيعة بجامعة كمبردج بانجلترا لاعداده للتدريس بمدرسة الهندسة الملكية

فعلى من يريد ترشيح نفسه لهذه البعثة أن يقدم طلبه بذلك على الاستمارة الخاصة المعدة لذلك . ويمكن الحصول عليها من إدارة مخازن وزارة المعارف بدرب الجامين بالقاهرة نظير دفع ثلاثين مليماً . ويرسل هذا الطلب بعد استيفائه مسجلاً بطريق البريد إلى : حضرة صاحب المعالى رئيس لجنة البعثات بالمعارف . وذلك إذا كان الطالب غير موظف فى الحكومة . أما إذا كان موظفاً فيها فيجب أن يقدم طلبه إلى رئيس المصلحة التى هو تابع لها

وفى كلتا الحالتين يجب ألاّ يتأخر وصول الطالب إلى سكرتارية لجنة البعثات بوزارة المعارف عن ١٠ أغسطس سنة ١٩٣٥

٢